٦ - المعانى الافلاطونية عند المعتزلة*

للدكتور محمود الخضيرى
عضو بعثة الجامعة المصرية بباريس

تفضيل المسلمين أفلاطون على أرسطو

لايتبع المعتزلة فيلسوفاً معيناً ولا يتقيدون بمذهب واحد من مذاهب السابقين ، وإنما يختارون من كل المصادر المختلفة ما يتفق مع نزعاتهم العامة ؛ ولكنهم أقرب ما يكونون إلى فلسفة أفلاطون ، نظراً لاتفاق مذهبه مع التصور الدينى لخلق العالم ، وقد عثروا على آرائه فى حلقات علماء الدين من المسيحيين ؛ ولكنها كانت محرفة بعض التحريف لامتزاجها بالفكر الدينى الشرقى . وينحصر واجبنا إذن فى تحليل القطع المنسوبة إلى من سندرسه من المعتزلة ، ثم نجتهد فى شرح المناسبة بينها وبين الفكر الأفلاطونى . وقبل أن نشرع فى هذا نريد أن ننظر نظرة عامة فى الأسباب التى تحبب أفلاطون إلى المعتزلة وتجعلهم يفضلونه على أرسطو .

كان فريدريك نيتشه يسمى أفلاطون « ساميا بالغريزة » Semit von Instinkt ، وذلك لأنه كان يرى أن الدين فى محاولته ضد القدماء السابقين للأديان ، وفى بحثه عن أسس فلسفية وأدلة عقلية ، شعر بالحاجة إلى أشخاص الثقافة القديمة الذين لايفهمون على وجه واحد ، لاسيما أفلاطون (١) . وقال جوزيف ده ميستر Jode Maistre ، وهو ينطق عن روح مخالفة كل المخالفة لروح نيتشه ، أى وهو يشيد بذكر الدين والشرق . « ليس أفلاطون عظيما رائعاً نافذ البصيرة إلا عندما يكون من رجال الدين ، أى عندما يعبر عن أدق وضعية خالدة منفصلة عن كل جدال يظهر عليها الطابع الشرقى فى وضوح قوى » (٢) .

والواقع أنه مما يقرب أفلاطون إلى الدين ذهابه إلى خلق العالم ، وهذا مايتفق فى المبدأ مع المقالة الدينية . وقد عرف المسلمون أن أفلاطون يذهب إلى أن للعالم مبدأ فى الزمان ، على خلاف أكثر الفلاسفة اليونانيين . قال الغزالى : « اختلفت الفلاسفة فى قدم العالم ، فالذى استقر عليه رأى جماهيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، القول بقدمه وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ... وحكى عن أفلاطون أنه قال : العالم مكون ومحدث » (٣) .

(*) الجزء السادس من سلسلة البحث المنشور فى « العرفة » السنة الثانية .
(١) ارادة القوة Dr Willee Zur Macht الفقرة ١٠٩ ص ١٣٩ طبعة Kroener
(٢) عن البابا Du Pape ، الكتاب الرابع ، الفصل السابع ص ٣٦٢ طبعة Garnier
(٣) تهافت الفلاسفة ، طبعة بوبيج ص ٢١

ويتفق ابن رشد مع الغزالى فى كتابه « تهافت التهافت » على الاعتراف بهذا الرأى لأفلاطون . وكذلك كتب الشهرستانى فى شرحه لفلسفة أفلاطون : « حكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل أرسطوطاليس وطيماوس [هكذا ! ويبدو من شرح الشهرستانى أنه يعتبر طيماوس مؤلف الحوار الأفلاطونى المشهور المسمى كذلك] وثاوفرسطوس أنه قال: إن للعالم محدثاً مبدعاً أزلياً واجباً بذاته إلخ »(١) .

والواقع أن أرسطو نقل إلينا « أن أفلاطون وحده يجعل الزمان حادثاً ، وذلك لأنه خلق فى الحقيقة — على حسب رأيه — مع السماء ، والسماء خلقت أيضاً » (٢)؛ ومعنى هذا أن أرسطو يشهد لنا بأن للعالم فى مذهب أفلاطون مبدأ زمانياً . ويجب علينا أن نقرر فى هذا المقام أن المسلمين قبلوا شرح أرسطو لمذهب أفلاطون وفهموه على هذا النحو؛ كما أن شراح أرسطو من اليونان ـ الذين ترجمت مؤلفاتهم إلى العربية ـ لم يدعوا للمسلمين مجالا للشك فى ذلك. وفوق هذا فإن أفلاطون نفسه يشرح لنا مذهبه فى أشهر مؤلفاته لدى المسلمين على النحو التالى : « موجز القول هو أن الزمان خلق مع السماء؛ وذلك لكى يتنهيا معاً كما خلقا معاً ، إذا كان لابد من انتهائهما؛ وقد صنع الزمان على مثال الجوهر القديم الأبدى بحيث يشابهه قدر استطاعته، وذلك لأن «المثال» هو الكون القديم الأزلى ، وأما السماء فقد «كانت» منذ المبدأ وفى كل تتابع المدة ، وهى « تكون » وسوف تكون » (٣)

ويجب أن نعترف بصعوبة كبيرة فى فهم الفكر الأفلاطونى فى هذا الصدد ، إذ أنه يجعل العالم مخلوقاً مع الزمان، ويعرف الزمان بأنه «محاكاة معينة للقدم والأبد» و« أنه» هذه الصورة الأزلية الأبدية التى تسير وفقاً لقانون الأعداد ، هذا الشىء الذى نسميه الزمان»(٤)؛ويذهب أكثر الأفلاطونيين وكل أنصار المذهب الأفلاطونى الحديث إلى الأخذ بتفسير إكزينوقراطيس Xenocrates الذى يميل إلى أن يرى فى معنى القول بمبدأ العالم مجرد نقطة ابتداء يستعان بها «لتيسير الشرح»، وشبيه بهذا منهج صاحب الهندسة الذى يتحدث عن « مد » خط بينما لا يعدو أن يبين أن وجود الخط قد سبق أن تضمنته قضايانا الأولية» (٥)

ولكن المسلمين لم يفهموا مذهب أفلاطون فى خلق العالم إلا على حسب ما شرحه وفهمه أرسطو وأصحاب التعليقات عليه ، وأكثر من ذلك فإنهم عرفوا رأى بلوتارك (=فلوطرخس)

(١) الملل والنحل طبعة كيلانية، ج٣ ص٣٦

(٢) الطبيعة (الطبيعيات) ص٢٥١ب

(٣) تيماوس (طيماوس) ص٣٨ب، ج(b & c)

(٤) الكتاب المذكور ص٣٧د

(٥) انظر تيلور ، أفلاطون : الرجل وعمله A. E. Taylor, Platob : The man and his Work الطبعة الثالثة لندن سنة١٩٢٩ ص٤٤٢ ـ ٤٤٣

فى ذلك؛ إذ أن الرازى الطبيب قد شرح شرحه على تيماوس[1]؛ ونحن نعرف أن بلوتارك يشارك أرسطو فى فهمه لمذهب أفلاطون فى تلك المسألة [2]

وإذن فان الصعوبة التى نجدها الآن فى فهم أفلاطون، لم تعرض للمتكلمين الاسلاميين ، وكان موقفهم فى ذلك شبيهاً بموقف الآباء المسيحيين. كتب الأب ديس Dies يقول: «إن آباء الكنيسة الذين دافعوا عن المسيحية بأقوال الفلاسفة، كانوا أكثر إخلاصاً وأمانة نحو نص تيماوس عند ما استعانوا به، ليؤيدوا العقيدة الدينية القائلة بحدوث العالم إلخ »[3]

وقد اختار المسلمون أفلاطون إذ رأوه يبدو لهم نصيراً للقول بخلق الله للعالم فى الزمان؛ ورأوا أرسطو يحاربه فى هذا الرأى . بل لقد تبعه المعتزلة وكثير من الأشاعرة والمتكلمين فى مسائل أخرى قد يبدو رأيه فيها مخالفاً لأول وهلة للأصول الاسلامية ، ويتضح هذا من درس كتاب الغزالى «تهافت الفلاسفة» ورد ابن رشد عليه، ورسائل هذا الأخير فى الاتصال بين الدين والفلسفة.

وأكبر ما نفر المسلمين من أرسطو ـ إذ ليس فيهم مفكر واحد أخذ بأقواله كلها ، حتى ابن رشد نفسه ـ هو قوله بقدم العالم ، وذلك لأن المعتزلة وسائر المتكلمين يرون أن أكبر إلحاد فلسفى هو القول بقدم العالم . كتب الخياط المعتزلى بمناسبة كلامه عن مؤلفات ابن الراوندى « الملحد » يقول : «وقد ألف عدة كتب فى تثبيت الالحاد وإبطال التوحيد وجحد الرسالة وشتم النبيين عليهم السلام والأئمة الهادين ، وهى كتب مشهورة معروفة . فمنها : كتاب يعرف بكتاب التاج أبطل فيه حدث الأجسام وتناهيها، وزعم أنه ليس فى الأثر دلالة على مؤثر ، ولا فى الفعل دلالة على فاعل، وأن العالم بما فيه و ....[4] وقمره وجميع نجومه قديم لم يزل لا صانع له ولا مدبر ولا محدث له ولا خالق، وإن من أثبت للعالم خالقاً قديماً ليس كمثله شىء فقد أحال وناقض » . [5]

وإذن فان أرسطو يعتبر فى الاسلام ـ نظراً لقوله بقدم العالم ـ فيلسوف الالحاد والكفر؛ وذلك لأن من رأى المتكلمين الاسلاميين أن من ينكر خلق العالم فى الزمان، ينكر أن الله خالق؛

(١) اشتاينشنيدر : المراجع العربية عن اليونانى (انظر المقالة السابقة) ٢ ص ٢٠

(٢) قال الاستاذ بلوار ما ترجمته : « ان الافلاطونيين الوجوديين الذين عرفنا باتجاههم وجهة نظر أرسطو فى هذه المسألة هما بلوتارك وأتيكوس» ؛ الكتاب المذكور ، ص ١٤٣

(٣) ديس ، حول أفلاطون A. Dies, Autour de Platon باريس سنة ١٩٢٧ ، المجلد الثانى ص ٥٧١

(٤) مخرم ومطموس فى الاصل (ملاحظة الناشر الاستاذ نيبرج)

(٥) كتاب الانتصار ، ص ٢

وبعبارة أخرى ينكر وجود الله. وقد كتب الغزالي في خاتمة « تهافت الفلاسفة » وهو يدين بعض الفلاسفة باسم الاسلام « فان قال قائل: قد فصلتم مذاهب هؤلاء، أفتقطعون القول بكفرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم، قلنا تكفيرهم لا بد منه في ثلاث مسائل: إحداها مسألة قدم العالم، وقولهم إن الجواهر كلها قديمة إلخ »(١).

ونحن لا ندعي أن في الفكر الاسلامي تياراً أفلاطونياً، هو من القوة والأهمية مثل ذلك التيار الذي كان يسميه مؤرخو القرن الثامن عشر والتاسع عشر بالتيار المشائي أو الأرسطوطاليسي عند العرب، والذي ليس هو في الواقع إلا مزيج من الأفلاطونية الأرسطوطاليسية، أو من الأفلاطونية الحديثة. وإنما نقتصر في هذا الفصل، وفيما يليه على البحث عن الأسباب التي حملت المتكلمين الاسلاميين، لا سيما المعتزلة، على الميل إلى المذهب الأفلاطوني ميلا يبدو كأنه بالالهام، أو لضرورة الفلسفة الدينية الاسلامية.

وسندرس في الصفحات التالية متالات المعتزلة الفلسفية العامة في علاقتها بالفلسفة الأفلاطونية معتمدين على مقارنة النصوص بعضها ببعض.

مدريد [اسبانيا] محمود الخضيري

(١) تهافت الفلاسفة طبعة بوريج ص٢٧٦

مخاطرات الشباب

أو الأميرة الهندية

رواية مصرية غرامية أخلاقية اجتماعية

حافلة بالعواطف النبيلة والمفاجآت العنيفة

تجمع إلى الحب العذري تحليلا دقيقاً لأهم خوالج النفس العلوية الشريفة.

بقلم الاديب : حسن رشاد بمعهد التربية

منقحة ومصدرة ببحث في أدب القصة وتطورها بقلم صاحب « المعرفة »

صفحاتها ٢٠٨ وثمنها ٥ خمسة قروش مصرية تطلب من المؤلف أو من إدارة « المعرفة »